شرح كتاب حلية طالب العلم

الشيخ محمد العويد – رحمه الله –

الفصل الأول للعام ١٤٣٨

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس الأخير

سابعًا: المحاذير

قال المؤلف رحمه الله:

٥٤- حلم اليقظة:

وهو أن تدعي العلم بما لم تعلم أو إتقان ما لم تتقن؛ فذلك حجاب كثيف عن العلم.

٥٥- احذر أن تكون (أبا شبر):

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار: من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم.

٥٦- التصدر قبل التأهل:

وقد قيل: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه.

الشرح:

أولاً: ادعاء الطالب علم ما لم يتقن لا يجوز؛ لأنه من القول بلا علم.

ثانياً: من الآفات التي تصيب الطالب في بداية الطلب التكبر، وكلما ازداد علماً تبين له حقيقة علمه وأنه لم يحصل إلا القليل فيكسبه التواضع، حتى إذا ترسخ في العلم علم أنه لا يملك شيئاً من العلم، كما قال الشافعي رحمه الله:

كلما أدبني الدهر ... أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علما ... زادني علما بجهلي

فالواجب على الطالب أن يتعلم في بداية طلبه أخلاق التعلم من التواضع وعدم التكبر، وأن يستشعر أن علمه ليس بشيء أمام إحاطة الله تعالى.

ثالثاً: التصدر قبل أوانه، وهذه مثلبة من مثالب الطلب، وتعجل للثمرة قبل وقتها، وتعرض الطالب للقول على الله بغير علم.

وكم رأينا من فتوى غير صحيحة من حديث الطلب، بل وكم أهلكت تلك الفتاوى من أخذ بها. وما نرى من تطرف في المفاهيم إلا بسبب تصدر سفهاء الأحلام.

قال المؤلف رحمه الله:

٥٧- التنمر في العلم:

وذلك بأن تراجع مسألة أو مسألتين؛ فإذا كنت في مجلس فيه من يشار إليه، أثرت البحث فيها لتظهر علمك، ويكفيك أن الناس يعلمون حقيقتك، فاحذر ذلك.

الشرح: من يتقن مسألة فإنه يتعبد لله تعالى بها، ولا يعني ذلك قدرته على الإفتاء، فإن الفتوى للعالم الذي جمع من العلم الكثير وثنى ركبته على العالم طويلاً، وأنفق ساعات عمره في الطلب والقراءة والحفظ، أما من قرأ مسألة أو مسألتين أو حتى كتاباً أو كتابين، فإنه ليس جديراً بالإفتاء.

قال المؤلف رحمه الله:

٥٨- تخبير الكاغد:

لا تشتغل بالتصنيف قبل استكمال أدواته واكتمال أهليتك والنضوج على يد أشياخك وتعدد معارفك والتمرس بالتأليف بحثًا ومراجعة ومطالعة وجردًا لمطولاته وحفظًا لمختصراته واستذكارًا لمسائله.

الشرح: القول في التأليف كالقول في الفتوى؛ لأن المؤلف يعرض أقواله التي وصل إليها علمه، ومثله المفتي الذي يفتي للناس بما ظهر له من علم، فخطورة التأليف كخطورة الفتوى.

معهد العلوم الشرعية

قال المؤلف رحمه الله:

٥٩- موقفك من وهم من سبقك:

إن المنصف يجزم أنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام؛ فإن ذلك يغمر في بحر علمه وفضله؛ فلا تثر الشغب عليه والتنقص منه والحط عليه؛ فإذا ظفرت بوهم له فلا تفرح للحط منه ولكن التمس العذر له وصحح الخطأ.

الشرح: تعظيم العلماء وتقديرهم من آداب الطلب، فإذا اطلع الطالب على خطأ لعالم فليعلم أنه بشر معرض للخطأ والنسيان، فلا ينبغي له أن يتتبع عثراته وأخطائه.

وبعض الطلاب يحرص على تتبع الزلات طلباً لغرائب العلم، والعلم لا ينال بالغرائب؛ بل ينال بالصحيح المشتهر بين العلماء.

قال المؤلف رحمه الله:

٦٠- دفع الشبهات:

اجتنب إثارة الشبه وإيرادها على نفسك أو غيرك؛ فإنها خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها المبتدعة فاحذرهم.

الشرح: الدخول في غرائب العلم يجر الطالب إلى كتب المبتدعة؛ لأنها مليئة ومشحونة بالغرائب وما تنكره الفهوم السليمة، وبعض الطلاب يأنس بالغرائب، فيكثر من قراءة كتب أهل البدع والخرافات، فيتأثر قلبه بها، ويتشبع عقله بها، وكم من واقع في البدع بسبب ذلك، فليحذر طالب العلم من ذلك، وليكن اهتمامه بكتب السلف ومن سار على نهجهم.

قال المؤلف رحمه الله:

٦١- احذر اللحن:

فإن عَدَمَ اللحن جلالةٌ، وصفاء ذوق، ووقوف على ملاح المعاني لسلامة المباني، فاحذر ذلك في اللفظ والكتب.

الشرح: عدم اللحن يأتي من طلب علوم اللغة كالنحو والأدب، فيتعلم الطالب قواعد النحو حتى لا يلحن في كلامه ويخطئ في إعرابه، ويقرأ في كتب الأدب حتى يتعلم الأساليب البليغة.

قال المؤلف رحمه الله:

٦٢- الإجهاض الفكري:

لا تخرج الفكرة إلا بعد نضوجها واكتمالها؛ فإن ذلك إجهاض لفكرك.

الشرح: فهم المسألة العلمية وإتقانها من الدلائل على حسن طريقة الطلب ورسوخ القدم فيه، وهو من العوامل المساعدة على نضوج العقل والفهم الدقيق، ولذا فإن الأفكار التي تتولد بعد ذلك تكون بقدر هذا النضوج.

قال المؤلف رحمه الله:

٦٣- الإسرائيليات الجديدة:

وهي ما نفثه المستشرقون من يهود ونصارى؛ فهي أعظم خطرًا من الإسرائيليات القديمة؛ فإن هذه قد اتضح أمرها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها؛ أما الجديدة فهي شر محض بلاء متدفق، فاحذر أن تقع فيها.

الشرح: عني المستشرقون بدراسة الكتاب والسنة، وهم على دين اليهودية والنصرانية، وحاولوا الدس على الإسلام، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة، حاولوا فيها تشويه صورة الإسلام، من خلال بيان التناقض والخلل، واغتر بعض أبناء المسلمين بهم، فتأثر بأقوالهم وانحرف مع تيارهم، وهذا كله بسبب جهله.

فطالب العلم ينبغي له ألا يقتني كتبهم وألا يتتبع أقوالهم، وديننا ولله الحمد كامل بنقله الصحيح وأحكامه العظيمة التي أنزلها الله تعالى ورضيها لنا، قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة/٣.

قال المؤلف رحمه الله:

٦٤- احذر الجدل البيزنطي:

أي الجدل العقيم الضئيل الذي يصد عن السبيل، وهدي السلف الكفُّ عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع؛ كما قال الحسن: «هؤلاء ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا».

الشرح: الجدال منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم فالممدوح إذا كان لإثبات حق، ومنه قول تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

والمنهي عنه في شرعنا ما كان في غير إثبات الحق، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم) متفق عليه.

قال الصنعاني في سبل السلام: (أي: الشديد المراء، أي الذي يحجُّ صاحبه).

وثبت فضل من ترك المراء، فقد ثبت عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه أبو داود وغيره.

قال المؤلف رحمه الله:

٦٥- لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها:

أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

فاحذر يا طالب العلم من الحزبية وفر منها فرارك من الأسد؛ فإنها أعظم العوائق عن العلم، وسبب التفريق عن الجماعة؛ فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الغواشي، فاحذر أحزابًا وطوائف مثلها كالميازيب تجمع الماء كدرًا وتفرقه هدرًا، إلا من رحم ربك؛ فكن على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

فكن طالب علم على الجادة تقفو الأثر، وتتبع السنن تدعو إلى الله على بصيرة على طريق السلف عارفًا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم.

الشرح: الإسلام دين واحد لا يقبل التعدد، والعقيدة السليمة واحدة، ومن أسباب تفرق الأمة إلى أحزاب ومذاهب الانتصار للنفس أو الحزب، وقد نهى النهي النبي صلى الله

عليه وسلم عن التفرق والاختلاف، فقد ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ. رواه الترمذي.

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِي مِثْلِ مَقَامِي هَذَا فَقَالَ: «أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَحْلِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَحْلَفَ عَلَيْهَا، وَيَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ تَسُرُّهُ حَسَنَتُهُ وَتَسُوؤُهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ» رواه أحمد والترمذي.

وثبت في الصحيحين عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»

والتفرق حاصل لهذه الأمة كما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» رواه أبو داود وغيره.

كما أن الافتخار ليس بالنسب أو الجاه؛ بل بالانتساب للدين العظيم، وتفاضل الناس بالتقوى، وقد ثبت عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ» ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» ، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» ، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» ، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ» . قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ:

أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا ـ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» رواه أحمد وغيره.

قال المؤلف رحمه الله:

٦٦- نواقض هذه الحلية:

اعلم وقانا الله وإياك العثرات أن من أعظم خوارم هذه الحلية المفسدة لنظام عقدها:

١- إفشاء السر.

٢- ونقل الكلام من قول إلى آخرين.

٣- والصلف واللسانة.

٤- وكثرة الكلام.

٥- والدخول في حديث بين اثنين.

٦- والحقد.

٧- والحسد.

٨- وسوء الظن.

٩- ومجالسة المبتدعة.

١٠- ونقل الخطى إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثام وأخواتها؛ فإن فعلت وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة خفيف، لعَّاب مغتاب، نمام؛ فأنى لك أن تكون طالب علم يشار إليك بالبنان منعما بالعلم والعمل.

معهد العلوم الشرعية ١٤٢٩هـ

الشرح: هذه وغيرها مما تتناقض مع أخلاق الإسلام في تعامل الناس بينهم، وطالب العلم أولى من يوجه إليه هذا الكلام، بل هو من يرشد الناس إلى الحذر من هذه السقطات.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

يوم الإثنين ١٣\ ربيع الأول \ ١٤٣٨ هـ الموافق ١٣\١٢\ ٢٠١٦م

معهد العلوم الشرعية